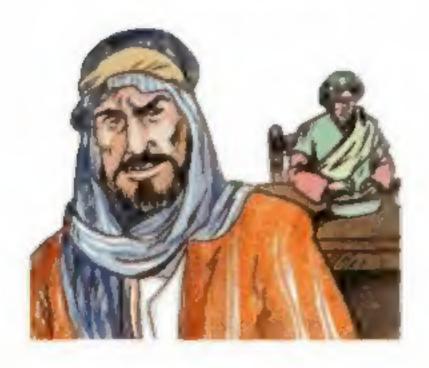
بشترية مسر بنيسة مبعد قرمدية

عطف وبر

إعداد : أمير سعيد السحار



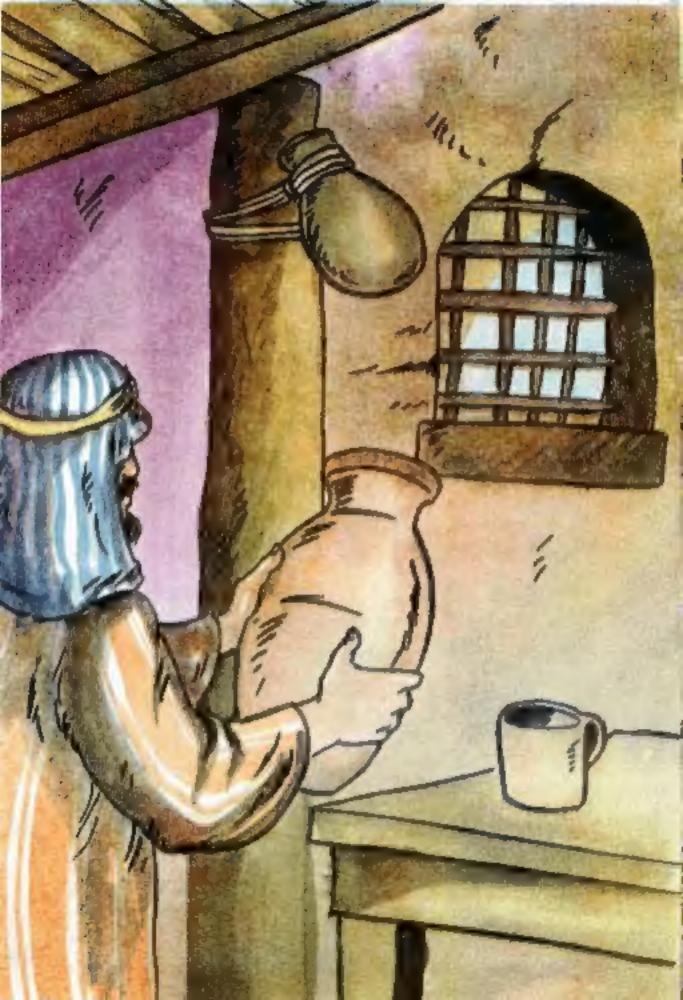
رسوم عبد الرحمن بكر الفاشسو مكتبسسة مصسسو ٣ شارع فخامل صدقى بالفجالة

عطف ويسر .. !!

كان أبو عبدِ الرحمنِ ، عبدُ اللهِ بنُ ديناوِ رضى اللهُ عنه ، وكان مولى لعبدِ اللهِ ابنِ عمرَ بنِ الخطاب رضى اللهُ عنهما ، وكان ابنُ ديناوِ يحبُّ مولاه حباً كثيراً ، فيه وفاءٌ وإخلاصٌ ، بُنِي على خيرِ صلةٍ بين الإنسانِ وأخيه الإنسانِ، ألا وهي صلةُ الأخوةِ في اللهِ ، التي لا تأبه بهذا الخطامِ الفاني ، ولا تنظرُ إلى الذنيا نظرةَ التقديسِ والعبادةِ ، كما ينظرُ إليها الأغبياءُ الجاهلون ..

وكانت خُطةُ مولاه تُعجبهُ أيما عجب ، فهو رجلٌ فسى جميعٍ احوالِه ، شجاعٌ مِقدامٌ ، بيدَ أنه عجب منه حينما خرج معه فات مرّةٍ ، وكان عبدُ الله بنُ عمر عنده حمارٌ جميلٌ ، يحرّ خلاء عليه إذا ملُ ركوب الرّاحلةِ ، وعمامةٌ يشدُّ بها رأسَه . ا

فكان إذا خرج إلى مكة ، لأمرٍ من الأمورِ ، ركب الحمار ، وشد رأسه بالعمامة ، ويمضى على بركة الله .. وليس من عادة العرب ركوب الحمير. فإنها قصيرة لا تدعو إلى الاحترام





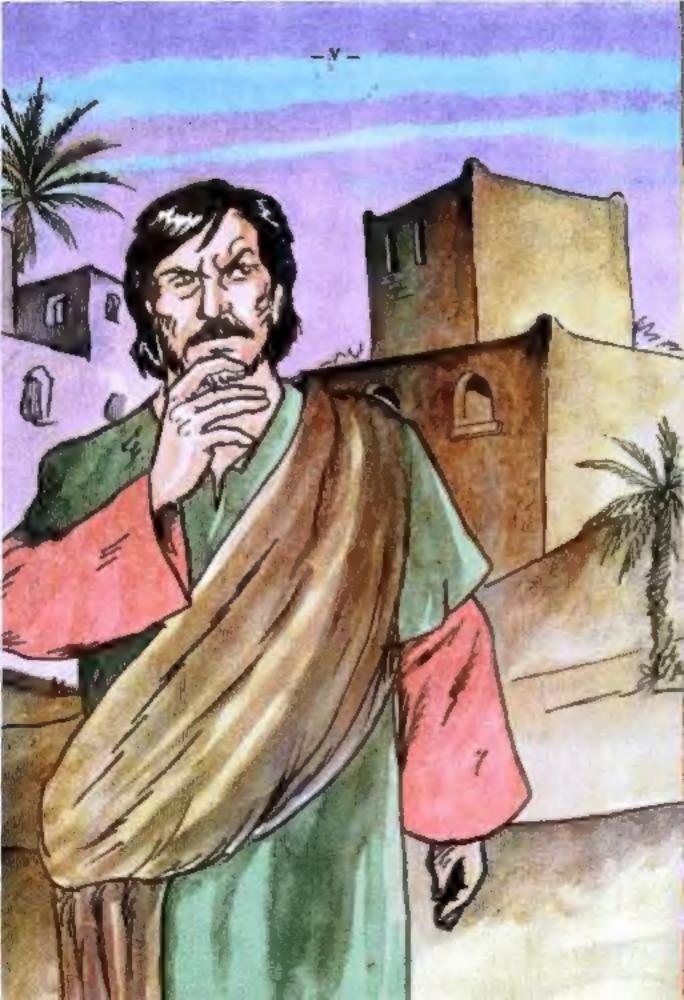
والتَّبجيل، وإنما هم قد اعتادوا ركوبَ الجمال .. الإبل العاليةِ الشَّمينةِ . والحيل السَّريعةِ القويةِ . أما الحميرُ تلك النسى لا تكاد تظهرُ من الأرض ، فلا يَرى فيها العربي لذَّة حين يركبُها ، ولا متعةً حين يملكُها . إنه يريـدُ العظمـةُ والكـبرَ والْخِيلاءَ ، تلك طبيعةٌ في نفس العربيُّ لا يجد عنها مُحيصًا . ولكنَّ عبدَ اللَّه بنَ عمرَ ينزَع إلى الراحةِ أحياناً ، وفي ركوب الحميرِ راحةً وهـدوءً . فهي لا تهتزُ كالإبلِ، وهي لا ترتجُ كالخيل. والراكبُ عليها لا يكاد يشعرُ بشيء من التعب أو المشقةِ ، وكأنما هو جالسٌ يستريحُ ، بينما هي تنسابُ من تحتهِ انسيابَ الرِّقطاء في الرِّمال. وعبدُ اللَّه بنُ عمرَ لا يانَف كما سأنف العربي القُحُّ لأنه رجلٌ هذَّبه الإسلامُ، ونزع من نفسه تلك العاطفة العجية ، والإحساس الغريب ، الذي

يسيطرُ على نفسِ كل فردٍ من هؤلاء الأعرابِ ، دونَ قصدٍ أو تكلّفِ

وبينما هو في طريقِه إلى مكة على حمارهِ الجميل ، وقد نشاذً رأسه بعمامتِه الخاصةِ ، إذ به يرى أعرابياً ماراً بجانيه . فارتبكُ ابنُ عمرَ وبانت عليه علائمُ التَّفكير ، وكأنما هو يفكُّرُ بسرعةٍ في أمر ذي بال . تُرى من يكون هـذا الأعرابيُّ . يُخيَّـل إلىَّ أننى أعرفه . هل من اللاِّئِق أن أسألُه لأتأكد أنه هو ابنُ صديق والدى عمرٌ رضي اللَّهُ عنه أم لا ؟ وافرحتاهُ إذا كان هــو ابـنَ صديق والدى عمر بن الخطاب . إنني يجب على إكرامُه ومحبته والبرُّ به. أجل فمن أبرُّ ، إن لم أبرُّ أصدقاءَ والدي وأحبابه وآباءَهم وأحبابَهم ؟ أعتقدُ أن البرُّ بأصدقاء والدي وأحبابِه والمقربين إليه وبأبنائِهم كذلك برٌّ به بعد مماتِــه . وهــل هناك فرصةً أبلغُ وأعظمُ ، وأجلُ من هذه الفرصةِ . ليته هو . وسأل عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ الأعرابيُّ قائلا :

_ ألست فلان ابن فلان ؟ .

وذهل الأعرابيُّ حينما سمع هذا الصّوتَ موجَّهاً إليه ، من رجل لا يعرفه، ثم قال في دهشةٍ :



_ بلی

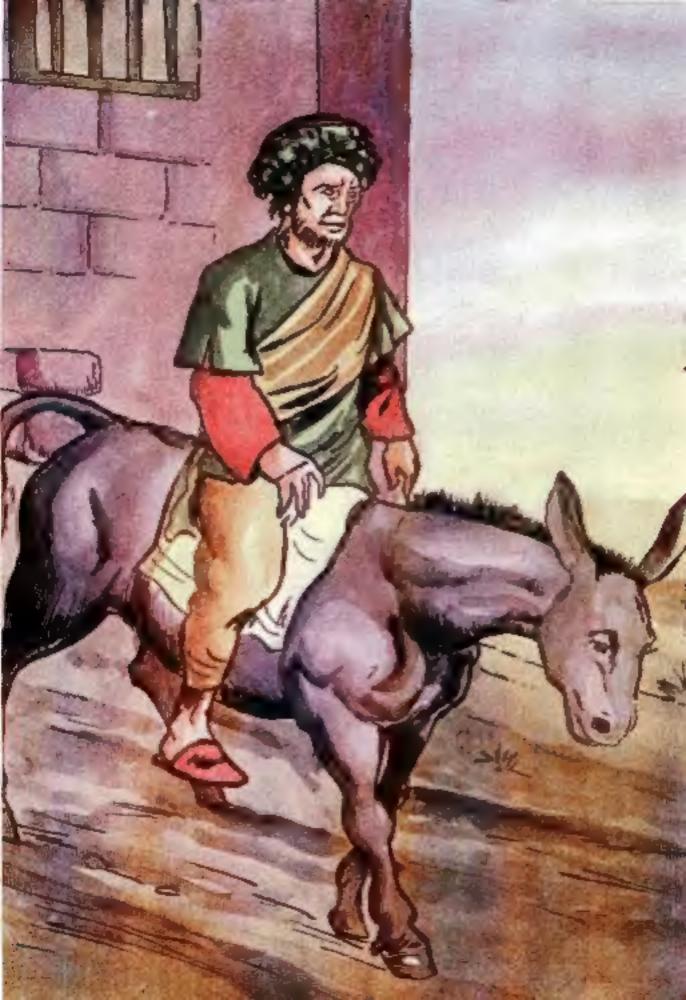
وهنا قفزَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ من فوقِ حمارِه ، وكلُه الفرحُ والسّرورُ الغامرُ ، وكأنما عثر على ضالةٍ ينشلُها من طويلِ الأزمانِ والآبادِ . وقال للأعرابيُّ في احترامٍ ووقارٍ :

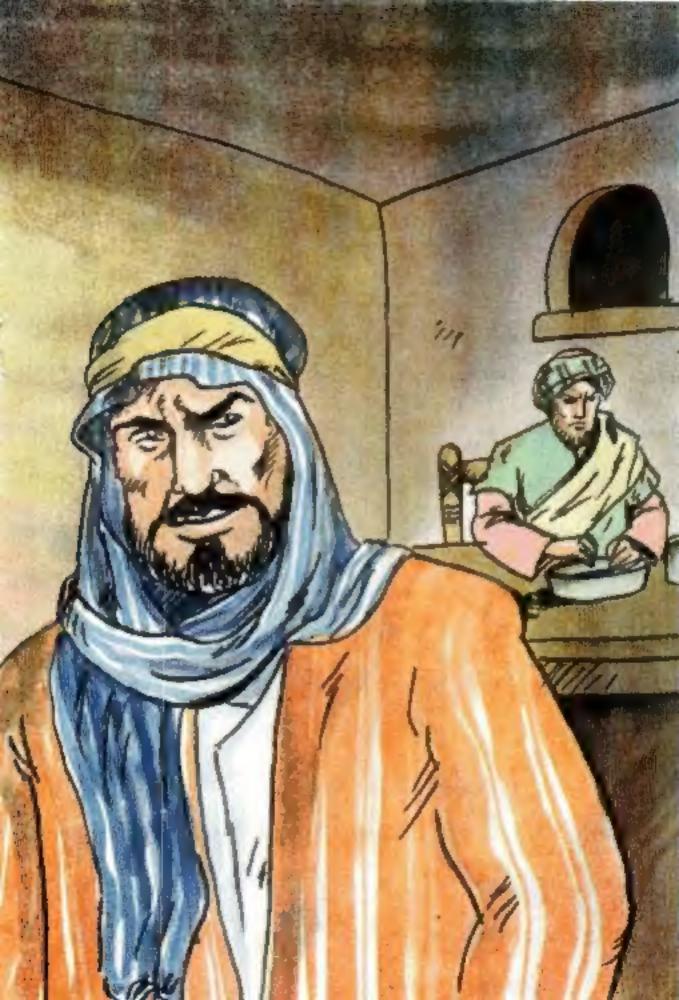
- اركب هذا .

وقدّم إليه الحمارُ ، وخلع العمامةَ من على رأسِه وقال : _ وخُذْ هذه ، اشدُدْ بها رأسَك .

عجب الأعرابي مذا التصرّف ، وقال في نفسه :

- كيف يفعلُ هذا شخصُ لا أعرفه ؟ حقاً إنه يعرفني لأنه ناداني باسمى، ولكن هنل أستحقُ شيئاً من ذلك ؟ وخاصةً وهذا الشابُ في غايةٍ من الصلاح والتقوى كما يبدو من معالم وجهه وسماتِه ، وهو من علية القوم كذلك ، لما يبدو عليه عن آثار النّعمة . إنه يُحيّل إلى أنني قد رأيتُه ولكن من أمد بعيد ، فهل يمكنُ أن أكونُ صادقاً فيما يخيل في 2 . والله الله عن ظهر أن عمر ، إنه فيه كافر من شهه إن صدق ظن فهذا عبد الله ين عمر ، إنه فيه كافر من شهه





أبيه . وإن أباه رضى الله عنه كان من أعز أحباب والبي وأصدقائه ، فلا مانع أنه يكرمنى لهذا، فيكون بذلك مكرماً لوالده وباراً به بعد ثماتِه ؟!

ولم تكن هذه حالُ الرجلِ فحسب ، بىل كانت هى حالَ عبدِ اللهِ بنِ دينار كذلك ، الله يطقُ صبراً ، بىل انفجرَ قائلاً فى دهشةِ وعجبِ :

- غفر الله لك ، أعطيت هذا الأعرابي حماراً كنت تروخ به عن نفسك، وتستريح عليه ، وتجد في ذلك لوناً من الوان المتعة واللذة ، وعمامة كنت تشد بها راسك ، فلا ينالك الم الشمس وحرارتها .. فكيف إذن تفعل يا سيدى ما فعلت ؟ كيف تسير ماشياً .. ويغير عمامة ؟! .

فصمت عبدُ الله بنُ عمرَ ، في تفكيرِ عميقِ ، ثم قال :

ـ يا ابنَ دينار ، إن الله أودع القلوبَ محبةً وبسرًا ، وفاضل
بينَ هذا البر ، وتلك الحبةِ ، فهناك أبرُ البرّ ، وهناك أرفعُ
أنواع الحبّةِ والود .. وإن من أبرً البر ، وأرفع أنواع الحبةِ ،

صلةَ الرجلِ أهل ود أبيه بغد أن يموتَ .

وعُلَّكت الدهشةُ ابنَ دينار ، وسيطر عليه العجبُ العاجبُ، ولم يعرفُ ماذا يقولُ .. وخُيَّل إليه أنه لم يفهمُ شيئاً ثما قال ابْنُ عمر .. وإلا فكيف ينالُ الميتُ من عمل الحي . إن المست قلد مات ، وانقطعَ عملُه من الدّنيا ، وليس للإنسان إلا ما سعى ، وقدَّمته يداه . ثم ما هذه القلسفةُ الدَّقيقةُ ؟ برُّ أصدقاء الميتز، ومودتُهم ، والعطفُ عليهم ، ومواساتهُم ، والنظرُ إلى محتاجهم بإشباعِه إذا جاع ، وكسوتِهِ إذا تعرَّى . هــذا كلُّـه لا يُعتبَر برًّا فحسبُ ، وإنما يعتبر من أبرُّ البر ؟ ! ولماذا ؟ لأنه بــرّ في ذاته ، ثم هو الأصدقاء الوالدِ الميتِ ، فكأنما يمتُ إلى الإحسان والعطف ، والبر والرحمةِ والمودةِ ، لا بسبب واحسا وإنما بسيبين . هذا وأيمُ الحقّ غريبٌ وعجيبٌ ! ولكنه على أيِّ حالٍ ، له وجة من الوجوهِ يُحمل عليه ، ويُفهمُ به ، ولكن مع طويل نظر ، وكبير عناء . ولماذا يُتعبُ الإنسانُ نفسَه في هذه الناحيةِ ، ويمضى مع الفكرِ في شتّى نواحيه ، ومختلف ضروبِه ، منا دام هنذا فضل اللَّهِ ؟! .. إنه الفضلُ الإلهج





لا أكثرَ ولا أقلَ، وإن الله ليبسطُ موائدَه للناسِ ، وما عليهــم سوى الاستجابةِ مخلصين .. !!

ولمحَ عبدُ اللَّـه بنُ عمرَ ، علائمَ التفكيرِ على وجهِ ابنِ دينار، فقال له مطَمئناً شارحاً :

_ لقد سمعتُ يا ابنَ دينارِ الرسولَ الكريمَ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه يقول:

«إن من أبرً البرّ ، صلة الرّجلِ أهل ودّ أبيه ، بعد أن يولى» !
وكأنما وقع ابنُ دينارٍ في ورطةٍ أخرى ، وانبهمت ، أمامَه مسالكُ التَفكيرِ ، وخيّل إليه أن ابنَ عمرَ يلغُز معه ولا يشرحُ .
أجل ، فهذا الأعرابيُ لا يَعقلُ أن يكونَ صديقاً لعمرَ بنِ الخطابِ رضى الله عنه ، فهو أعرابي لا تبدو عليه معالُم الشيخوخةِ ، ولكنه في مقتبَلِ العمرِ ، وريعان الشيابِ ، وما كان يجدُر بعبدِ الله بنِ عمرَ أن ينزِلَ عن هارِه ليركبَ هذا الرجلُ ، وأن يخلعَ عمامته ليشدَّ بها هذا الأعرابي رأسه ،

ويُؤثّرُه على نفسِه في وقتٍ هو في أشدُّ الحاجةِ إلى الراحةِ والهدوءِ ، والاحتجابِ من الشمسِ التي تفتِكُ بالرءوسِ .

ورأى ابنُ عمرَ ما يعتملُ في نفسهِ فقال :

ـ إن أباه كان صديقاً لعمرَ رضي اللَّهُ عنه . ا

وانقشعت ظلمة الريبة والشك ، عن قلب ابن ديدار ، وفهم كل شيء وطوب لهذا الفضل الإلهى الذي يسوقه الله على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعقد النية على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعقد النية على إكرام كل أصدقاء والديه ليكتب لهما في سجلهما حسوات كثيرة ، ويناله هو من وراء ذلك عظيم الأجر وجزيل الثواب .. !!

